مقالهٔ زیردربارهٔ جلالت قدر ادبی وهنری شیخ سعدی، ازسلسلهٔ خطابه‌هاییست که آقای احمدترجانی‌زاده استاد عربی دانشکدهٔ ادبیات تبریز بسال ۱۳۲۹ در « معهداللغات الشرقیة » دانشگاه فؤاد قاهره برای دانشجویان و طلاب مصری ایراد کرده‌اند . چون خطابه‌های مذکور لفظاً آراسته بحلیهٔ فصاحت وبلاغت ومضموناً شامل بحث وتحقیق دربارهٔ شعروادبیات وشعرا وادبای ایران است بعضی از آنها راکه باسبك وشیوهٔ نشریهٔ دانشکدهٔ ادبیات تبریز بیشتر مناسبت دارد در این نشریه بچاپ میرسانیم .

بقلم احمد ترجانی‌زاده

الاستاذالاجلّ سعدی الشیرازی

لقدسلك سعدی فی‌حیاته مسلکاً غریباً نادراً یکاد ینفرد به‌من بین‌اقرانه من الشعراء والحکماء فهو رحالة و شاعر و حکیم و کاتب لقد استقی معارفه و ثقافاته المتنوعة من‌مدرسةالزمان و صفحات الکون اکثر مما تعلّمه فی‌المدرسة النظامیة ببغداد التی کانت‌هی‌الجامعة الکبری للعالم فی‌عصره فهو قد جاب‌البلادوطوی‌الآفاق وذاق‌الزمان فی‌حلوه ومره ویسره وعسره وشدته ورخائه وشظفه وهنائه وحصلت له تجـارب قلما تحصل لفرد مفرد من بنی نوع البشر فخاض غمار البحار و رکب لجّة الدأماء غیر مبال بما هنالك فی‌تلك‌الازمنة الغابرة من‌المخاطر والاهوال واستخرج مقداراکبیراً من‌الجواهر واللآلی ونظمها فی‌سمط بدیع و حلی بها جیدالادب الی الابد و شنف بها آذان‌القلوب‌الی مالایحد له امد و دخل‌فی‌الحدائق‌والجنات‌والمروج فاجتنی من‌الزهورالجمیلة الندیة والوردالغضةالناضرة والریاحین العاطرة المنعشة مایفوح من ذکر شذاه‌المحفل ماالمسك ماالمندل ماالقرنفل وجمع منها باقات

لاتذبل على مرّ الدهور والاعوام ولاتعبث باوراقها الرياح والامطار مهما تعاقبت المواسم والايام وتغلغل في البوادي والفيافي المترامية الارجاء والمتنائية الاطراف غير مكترث بما فيها من السباع الضارية والوحوش الكاسرة والاشواك الجارحة والرمال القاحلة فاحتمل مصاعب الجوع والعطش ومشاق السفر في تلك المخاوف والمهاول ماشياً على قدميه بل حافياً غير هياب ولا وجل وصعد الهضاب وتسلق شواهق الجبال حتى تسنم قممها وذراها و ساح في الوديان والسهول ونزل المدن والقرى والخيام والقى على كل ماشاهده في حله وترحاله ولبثه وتجواله وصعوده وهبوطه نظرة اعتبار واختبار ولمحة انتباه وافتكار نظرة فيلسوف متفائل يرى الجمال في كل شيء و يقف عند كل ما يسحر لبه ويجذب قلبه وقوف خاشع للخالق المبدع مسبحاً ومهللاً معترفاً بحكمته في كل ماخلق ومعتقداً بانه النظام الاحسن والاوفق وليس في الامكان ابدع مما كان راجعاً من سيره في الآفاق والانفس الى بني نوعه من الانسان مخاطباً اياهم على منبر الوعظ والارشاد في شعره ونثره بان النظر في الاكوان ومامضى من العبر في الازمان يوجب عليهم رعاية العدل والاحسان تاسيا بالحكمة العالية العادلة الالهية و سعياً وراء الكمال المطلق المجرد عن شوائب النقص والاختلال وصوناً لجمال الطبيعة عن الفساد والزوال وبعد فسعدي مثال الصبر وقوة الارادة والسعي وراء الغايات السامية بكل مثابرة وجد وتجلد ازاء المتاعب والطوارق فهو في اطوار حياته المليئة بالاسفار الطويلة والحوادث المرهقة لايرثي لحاله الاّ مرّةً واحدة كما يحكي عن نفسه ويقول: ماشكوت قط من جور الزمان وتصاريف الدهر الاحينما دخلت جامع البصرة حافياً غير مستطيع ان اهيئ لي حذا حتى يقي قدمي من الاذى فرأيت رجلاً لم يكن له رجل فرق قلبي لحاله وانقلب شكواي شكراً . يحاول سعدي في كل ما كتبه من احواله في نظمه ونثره ان يظهر نفسه لقارئه بمظهر رجل سياح جواب آفاق ليس له همّ الاّ ان ينظر الى الناس والدنيا ومافيها بعين التفرج والتنزه يعاشر الناس على اختلاف

طبقاتهم من الملوك والمماليك والاغنياء والصعاليك والعلماء والجهلاء ممازحاً مفاكهاً محائداً لااصطكاك له مع الناس فی منافعهم واغراضهم وانما يتوسل به فی بعض الاحيان اصحاب الحاجات فيسعى لانجاح مقاصدهم عند الملوك والامراء فيتكلم عندهم ويدرج مايريده من المآرب فی عبارات لطيفة واشارات بديعة فيهتز لبيانه المجلس و يطرب النادی فيكرمونه ويجلونه ويرفعون مكانته ويقضون لبانته ويغتنمون مقدمه ويتركهم وهم بعد فی عطش شديد وقد غشيهم حيرة واندهاش من حديثه الحلو الجميل ونشوة من فكاهاته النادره ويخرج من عندهم فائزاً بمارامه لاصحابه واصدقائه هشاً بشاً فی وجوههم يبشرهم بالنجاح ونيل المرام من غير من ولااذی .

***

لسعدی فی اكثر ماخطه يراعه من نثره و شعره ابتسامات مليحة وما احلی وما اجمل ابتسامة الكاتب او الشاعر تظهر فی خلال كلماته وثنايا سطوره او طروسه و تری لمعان ثغوره فيعروك اهتزازة الطرب ويثير احساسك ويهيج وجدانك وشعورك ويجعلك متأثرا بكلامه فتصدقه فی كل ما يحدث اليك من دون عرض علی المنطق و تجشم طلب الدليل والبرهان و ابتسامة سعدی اشبه مايكون بابتسامة لطيفة جميلة تبدو علی شفتی الطفل المعصوم اوثغر الحبيب الفتان لانها ابتسامة رجل محنّك متواضع بشاش معتدل المسلك حسن المعاشرة لطيف المحاضرة حاضر البديهة متفائل فی الحياة محب للخير داع الی الصلح مناد للسلم ساع لاسعاد الناس ناظر الی الحسنات غاضّ بصره عن السيئات مارّ باللغو مرّ الكرام و ليس كابتسامة الرجل الضخم والبطل الجبار ابتسامة هزء و احتقار كانما يحملك علی تصديقه بالجبر والعنف فانّ هذا النوع من الابتسام و ان كان له اثره الخاص فهو فی الحقيقة ازدراء واستهزاء بمن لايعتقد بعقائد الكاتب فهو نوع من الهجوم علی المخالف وضرب من البطش به او كما قال المتنبی: اذا رأيت نيوب الليث بارزةً فلا تظنن انّ الليث يبتسم .

***

لایخفی ان للشاعر المبدع والکاتب المُجید رنة اونبرة خاصة وموسیقی بدیعة فی اداء الکلمات و وضعها فی مواضع لافتة تولّی وجه القارئ شطر معانیها وترسم فی نفسه صور ما یجول فی نفس الشاعر اوالکاتب من المیول والعواطف و الخواطر اوالاجلال والاکبار نحو المراد من الاسماء الخاصة للاشخاص والاماکن واحیاناً یجری هذا الحکم فی اسماء المعانی العامّة کالعلم والحکمة والعشق وماشاکلها من الکلیات التی تدور رحی الحیاة المعنویة حول اقطابها ولسعدی الید البیضاء فی هذه الناحیة ولنضرب لذلك مثلاً کلمة شیراز فانه کلما ذکرها یفهم من سیاق کلامه و نغمته الخاصة انه یتکلم عن بلد عزیز علیه محبوب لدیه الا و هو وطنه الذی فنی الشاعر فی حبه ولذلك یعرضها فی معرض الاستهواء والحق ان لسعدی تاثیراً عظیماً فی جلب السائحین والرحالین والمسافرین الی شیراز فهو یکثر ذکرها فی دیوانه محفوفاً بشوق و وجد و حنین واجلال ومحاطاً بهالة من اعمق مشاعره و وجدانیاته کانما هو حسیس قلب مغرم یحس او رسیس فؤاد عاشق واله باح باسراره فانکشفت لمن اقام فی جواره حب الوطن من ابرز خصائص سعدی سواء کان فی الحضر او السفر فهو فی زمان اقامته فی الوطن یدعوله و لحکامه العادلین وعلمائه العاملین احرّ دعاء ویستغیث ویرجو من الله تعالی باستکانة وتضرع وخشوع ورکوع ان یحمی حمی وطنه الی قیام القیامة فی أمن و سلامة ویصونها من عواصف الفتن والآفات بما تلی فی القرآن من الآیات وهذا النوع من حب الوطن الذی یفهم من خلال الکلمات وسیاق العبارات علی النحو الذی اشرنا الیه غیر ماعند بعض الشعراء من التعمد والتصریح بمدح بلادهم و اوطانهم فذاك فی واد وهذا فی واد والمتاع الذی نحن نریده لایوجد فی غیر حانوت سعدی فله علاوة علی التصریح بمدح وطنه والدعاء له فی غیر ما موضع من نثره وشعره نفحات طیب تهدی الی الحلل یشمها العارفون لطائف الاشارات فی محاسن العبارات علی الوجه الذی عقدنا له هذا الفصل من المقال وسعدی سواء أ کان مقیماً فی شیراز اونازحاً عن وطنه لایملك نفسه من ابراز

عواطفه وانشاد اناشیده الوطنیة فاذا کان مقیماً فیمدحه مبتهجاً وطروباً بمناظره الجمیلة وعطر ریاحینه وزهوره و اذا کان فی رحلاته ضاربا فی الارض فیصوغ ذکری وطنه فی ارق العبارات باشتیاق وانین وزفرة والتیاع وحرقة وصبابة ویرجحه علی سائر البلدان فهو یقول فی مطلع کتابه بوستان انی سحت فی البلاد وتجولت فی الآفاق و رأیت أقاصیها وادانیها وعاشرت اعالیها وادانیها وتمتعت من کل زاویة وحصلت من کل بیدر بسنبلة فلم ار فی الرفق والتواضع کاطهار شیراز المنجبة فرحمة الله علی تلك التربة الطیبه ویقول فی احدی قصائده مشببا بوصف الربیع : انظر الی نعیم خطة شیراز و جمال حسانه الفردوسی من ای نافذة تزید حتی تری الحور والعین عیانا و لیس القصد هنا اسقتصاء هذا الباب لان ذکری شیراز فی دیوان سعدی لوجمعت تفاریقه لاستغرقت صفحات فیالها من قصّة فی شرحها طول فلنذر هذا البحث الی وقت اوسع و اولی ولنعد الی سیرتنا الاولی فی بیان ما لسعدی من نغمة مطربة فی طریقة اداء الکلمات التی له شغف بمسمیاتها لنری کیف یجعل بعض الالفاظ عنواناً للظرف والرقة والجمال اوللعظمة والفخار والجلال بحسب مایضمره بین جوانحه من العواطف و المیول نحو مسماه فیورده فی مناسبات عدیدة من غزل وغرام وتصوف وحکمة وعظة وعبرة کمرآة تتجلی فیها هذه المعانی بارزة للعیان فیشف ویکشف عما یکنه سعدی فی حنایا ضلوعه نحو معناه فلنورد هنا ترجمة احدی غزلیاته الرقیقة مثالاً وشاهداً علی المقصود و لننظر الی نغمته وموسیقاه فی کلمات شیراز ومصر ویوسف فی ابیات هذا الغزل حتی ینجلی المراد بعض انجلاء فالیکم الترجمة وان کانت قاصرة فاترة فما لایدرك کله لایترك کله: لاتسلمها الایام الّی کی انال حظی ومنیتی واخذ حقی بلثمة من ثغرها واجذبها واضمها الی صدری بعین الوهق الذی تصید به افئدة الناس ولکن لااطیق ان أمُسّ بیدی تلك الضفائر التی فی طیّاتها عدد کثیر من قلوب العاشقین اناعبد رق لذاك القد الذی کانّ الرشاقة ثوب علی مقداره قدّ فصل ایها الحبیب الذی قامته حوط بان وجسمه من لجین

من لونك البديع واريجك المنعش قد كسد سوق الورود والرياحين وذهب رونق الرند والخزامى ضع قدمك فى الرياض حتى يداس تحت الاقدام الارجوان والياسمين حبذا التفرج فى النوروز ولاسيما فى شيراز فانه يقلع قلب الرجل المسافر عن وطنه وينسيه الوطن والاحبة قد صار جمال يوسف الورد عزيزا فى مصر المروج وريح الصبا قد جاء الى البلد بروائح قميصه ولاتعجب فى زمن الربيع ان بكى السحاب اوضحك الزهور فى رياضها ومروجها تولّهاً بجمالك و ضلالاً بدلالك فانت على نمط من الحسن والجمال ان مررت على الاموات لاغرابة فى ان يخرجوا من اجداثهم ويصيحوا صيحة العشاق الوالهين والآن لم تبق فتنة فى ايام عدل الملك الاّ سعدى فانه مفتون بجمالك والناس مفتونون بشعره و كلامه[1].

***

لسعدى نواحٍ وخصائص يختصّ ويمتاز بها من بين سائر شعراء ايران ولايشترك فيها معه احد من الشعراء احديها ان كتابه المشهور المنثور گلستان و كذلك

۱ــ اصل غزل در طیبات سعدی چنین است :

رها نمیکند ایام در کنار منش — که داد خود بستانم ببوسه ازدهنش
همان کمند بگیرم که صید خاطر خلق — بخود همی کند ودر کشم بخویشتنش
ولیك دست نیارم زدن در آن سر زلف — که مبلغی دل خلقست زیر هر شکنش
غلام قامت آن لعبتم که برقد او — بریده اند لطافت چوجامه بر بدنش
ز رنگ و بوی تو ای سرو قد سیم اندام — برفت رونق نسرین باغ ونسترنش
یکی بحکم نظر پای در گلستان نه — که پایمال کنی ارغوان و یاسمنش
خوشا تفرج نوروز خاصه در شیراز — که بر کند دل مرد مسافر ازوطنش
عزیز مصر چمن شد جمال یوسف گل — صبا بشهر درآورد بوی پیرهنش
شگفت نیست گر ازغیرت تو بر گلزار — بگرید ابرو بخندد شکوفه برچمنش
بدین روش که توئی گر بمرده در گذری — عجب نباشد اگر نعره آید از کفنش

نماند فتنه در ایام شاه جز **سعدی**
که برجمال تو فتنه است وخلق برسخنش

کتابه المنظوم بوستان منذ قرون کانا یدرسان فی المکاتب فی جمیع جهات البلاد الایرانیة شرقها وغربها شمالها و جنوبها بلا استثناء ولا شذوذ . وهنا توضیحا للمقال اری مناسبا للمقام ان اتعرض لذکر مناهج التعلیم قبل زمان الاقتباس والتقلید من الغرب فی انشاء المدارس الجدیدة و نهضتها الحدیثة . کان التعلیم فی ایران علی قسمین الاول التعلیم فی المکاتب لتحسین الانشاء باللغة الفارسیة واملائها و تجوید خطها و قراءة سورٍ من القرآن الکریم وبعض مایتعلق بالدین و المذهب و کان کتاب القراءة یعنی النصوص الادبیة فی تلك المکاتب بلا استثناء کتابَی گلستان وبوستان و من هذین الکتابین کان یتعلم الاولاد و الشبّان الایرانیون آداب المعاشرة والاخلاق والادب النفسی فی معاشهم وحیاتهم وایضاً من هذین الکتابین کانوا یتعلمون آداب الملوك والسلوك معهم وسیرة العظماء ومقادیر اهل الفضل والعلم والادب والتمثل بالاشعار فی الموارد المناسبة و استعمال الامثال اللطیفة والالفاظ الکتابیة الفصیحة التی کانت تسمی فی ایران بالالفاظ القلمیة اولفظ القلم بدل الکلمات العامیة فی المجالس والمحافل اوعند الملوك والامراء والوزراء والعظماء والعلماء .

و کان فی بعض الاوقات و فی بعض البلدان من المکاتب المهمة ماکان یدرس فیها الاساتذة المهرة من المعلمین الذین کانوا علی جانب عظیم من العلم بالادبین الفارسی والعربی وعلم الحساب و مسك الدفاتر واصول فن انشاء المراسلات فی امور الدولة والحکومة و دیوان الوزراء و غیرذلك مما یتعلق بشتّی شئون الدنیا من التجارة والسیاسة وغیرهما و الثانی التعلیم فی المدارس الدینیّة اوالروحانیّة و کانت تدرس فی هذه المدارس انواع العلوم و فنون الادب و کانت الکتب الـدرسیة علی الاغلب من المؤلفات باللغة العربیّة فی النحو والصرف والبلاغة والمنطق والکلام والفلسفة والفقه والاصول والحدیث والاخبار والتفسیر والعلم الریاضی من الحساب والجبر والهندسة والهیئة والنجوم وغیرها و هذه المدارس الایرانیة هی التی قداخرجت للناس

نوابغ العلماء والادباء والشعراء من مشاهیر ایران الذین کان لهم جهاد کبیر وفضل مشهور فی عالم الشرق والاسلام وفی الحقیقة کانت هذه المدارس بمنزلة الجامعات الکبری التی تشتمل علی اکثر مراحل التعلیم من ثانوی وعال وکانت العادة الجاریة فی ایران ان یدخل الطالب فی المکتب و یتم دراسته هناك حتی یحوز اهلیةً و استحقاقاً لدخول المدارس العلمیة وکان بعض الطالبین الاذکیاء یتخرجون من المکاتب وقد حصلوا علی سهم کبیر وقسط وافر من الانشاء والاملاء وفهم الادب الفارسی وحفظ الاشعار الفارسیة وبعد ذلك یدخلون المدارس العلمیة ببصیرة تامّة وعزیمة صادقة وحذق فی العمل وفکر شحوذ ورأی صائب وعلی الارجح هؤلاء هم الذین کانوا ینبغون فی العلم والادب والفنون ویطیر صیتهم فی الآفاق وینالون قصب السبق فی ابراز مواهبهم العقلیة والذوقیة ویمتازون بدرجات فی العلم والادب متفاوتة حسب استعداداتهم وامکاناتهم لانهم تدرّبوا اولاً فی اللغة الفارسیة و ذاقوا حلاوة العلم وحصل لهم ملکة الفهم والادراك للمسائل فکانوا یدخلون المدرسة ویلجون باب العلم وهم علی بصیرة وقصد وفهم لغایاته وکان هذا سر نبوغهم وظهورهم اوعلی الاقل سبب فوزهم ونجاحهم لان الجمع بین التعلیمین المکتبی والمدرسی کان بمثابة الجمع بین الثقافتین ولاشك ان هذا الجمع له اثر عظیم فی تربیة الذوق وتنمیة العقل والروح وخصوصاً ان التعلیم المکتبی فی ایران کان ادبیاً وذوقیاً مستقی ومکتسباً من النثر الفصیح العالی والشعر البلیغ الجمیل الحاوی للاخیلة الدقیقة واللطائف والنکات والحکم والنوادر والامثال ممـا یؤثر فی ترقیة الفکر و تنویر الذهن وتلطیف العواطف ولایخفی ما للشعر بمعناه الاعم من التأثیر فی تهذیب النفس وتشحیذ الذهن واکتساب الملکات الفاضلة والاخلاق الحسنة و ماقیل فی الاخبار المشهورة علموا اولادکم لامیّة العرب فانها تعلمهم مکارم الاخلاق من شواهد هذا الامر وایضاً قول ابی تمام : ولولا خصال سنها الشعر مادری بغاة المعالی کیف تبنی المکارم من اجود ما انشد فی هذا الباب وخلاصة القول انه کان فی ایران مکتب ومدرسة وکان التدریس والکتب

فی المکاتب باللغة الفارسیة وفی المدرسة کانت الکتب غالباً باللغة العربیة والتدریس والتفهیم باللغة الفارسیة وفی غالب الاماکن والاحیان کان للملوك والامراء و من یسیر سیرتهم او یتشبه بهم مکاتب خاصة لاولادهم ومتعلقیهم یجلبون لتدریسهم افاضل العلماء والادباء وهذا الترتیب الذی ذکرناه قد جرت العادة به من القرون الاولی الاسلامیة فی ایران کما یدل علیه مواضع من التاریخ واسناد معتبرة من الآثار الادبیة و حکایات من سعدی نفسه ومن جملتها :

پادشاهی پسر بمکتب داد　　لوح سیمینش در کنار نهاد
بر سر لوح او نوشته بزر　　جور استاد به ز مهر پدر

وهنا الآن نستوقف السامعین هنیهةً لیقفوا علی الدور البدیع الذی لعبه سعدی بعد مماته فی خدمة وطنه وابناء نوعه وتربیة الاطفال والشبان فی الاجیال الآتیة بعده الی الآن وهذه الخاصة مخصوصة بسعدی و من ممیزاته لایشارکه فیها احد من الشعراء اوالکتاب فانا قد اثبتنا ماکان للتعلیم المکتبی من الاثر العظیم فی السواد الاعظم لان هذا القسم من التعلیم بالنسبة للتعلیم المدرسی الخاص بطبقة ممتازة وافراد معدودین من الذین جرّدوا انفسهم للحصول علی الدرجات العالیة فی العلوم والفنون کان عامّاً شائعاً فی المدن والقری و حتی بین القبائل والعشائر الایرانیة الذین کانوا یعیشون فی الخیام وکان لهم رحلة الشتاء والصیف ففی کل المکاتب فی کبریات المدن و و صغریاتها و فی القری و فی خیام الرحالة بکل صقع من اصقاع البلاد الایرانیة المترامیة الانحاء کان یدرس کتاب گلستان و کتاب بوستان و بعبارة اخری کان هذان الکتابان بمنزلة النصوص الادبیة والمتون الاخلاقیة التی تدرس الآن فی المدارس الکبری والصغری وکانا بمثابة نبراس یهتدی به فی ظلمات الحیاة و قانون یمشی فی هداه المتعلمون فی معائشهم و علاوة علی ماذکرنا کانا هما الوسیلة الفذة الوحیدة الحامیة للغة الفارسیة الفصحی فی الکتابة والادب والمحادثة وغیر هذین الکتابین من

دواوین سائر الشعراء والعظماء لم یکن یدرس لافی المکاتب ولافی المدارس وانما کان اهل الفضل واصحاب الذوق من العلماء والادباء یطالعونها فی اوقات فراغهم و راحتهم ومجالس علمهم وادبهم نعم کان شاهنامة فردوسی یتلی علی الناس فی الاماکن العامة و فی مجالس الخاصة بطریقة مخصوصة حماسیة لاسیما فی اندیة القبائل والعشائر وینفخ فی الناس روح الحماس والفخر وحب الوطن و لکن لم یکن کتاباً درسیاً فی المکاتب اوالمدارس بل کان یحفظ جم غفیر من الناس کثیراً من ابیات شاهنامه و ربما اتفق للعشائر فی معارکهم ومنافراتهم التمثلات البدیعة النادرة یشجعون بها فرسانهم ویطعنون بها اقرانهم ولولاخوف الاطالة والتلمیع فی المقالـة لاوردنا نماذج من هذا النوع کانما هی زبارج وجعلنا منها المعصم الکلام ومالج فلنضرب عن هذا الباب صفحا ولنرجع الی سعدی کی لایزحف سهم الیراع زحفا :

کان لکتابیه گلستان و بوستان تأثیر کبیر فی تقریب الفاصلة بین اللهجة العامیة واللهجة الادبیة فی اللغة الفارسیة فانك تجد فی تهران مثلاً الفرق بین اللهجتین لایکاد یحسّ وهذا کان بلاریب بفضل سعدی فی گلستانه وبوستانه الذین کان الشعب الایرانی المتعلم یأخذ منهما فی دراسته الاولی مادة ادبه وبضاعة صناعته فی فصاحة لسانه وبلاغة قلمه هذا و کتاب گلستان نثر بدیع جمیل بلیغ لم ینسج علی منواله و کله من السهل الممتنع یزید علی حدّ ماقال سعدی نفسه بلاغة المتکلمین و نشاط المترسلین و کتاب بوستان ایضاً نظم رائق راق فی انسجام وفصاحة علی ذالك النمط .

ومن البدیهی ان فی درسهما و تکرارهما اثراً بلیغاً فی تحصیل ملکة الفصاحة و کسب الذوق السلیم والتجنب عن الرکّة والفهاهة فلاعجب فی ان نقول بعد تمهید هذه المقدمات انّ سعدی کان استاذاً ومعلما للایرانیین طوال القرون والاجیال الآتیة بعده فی اللغة والادب والاخلاق وتربیة النفس لمواجهة صعاب الامور ومشکلات الحیاة وبعد فلسعدی جهة عالمیة ایضاً فهو شاعر یدعو فی غیر مامحل من کلامه الی الوحدة

البشریة. کتب ما کتب و نظم ما نظم فی الاخلاق والعبر والعظات وصرف عمره الطویل فی خدمة البشر لا للامة الایرانیة وحدها وانما الاستفادة من آثاره واشعاره مباشرة للعارفین بلغته.

***

و کلام سعدی فی کتابه المنثور گلستان و کتابه المنظوم بوستان و کذلك فی کثیر من قصائده حکم و نصائح وعبر وعظات و تجارب وسیر فی الآفاق والانفس و لکن ابتساماته فی شعره و کتابته وحبه للجمال وظرفه وفکاهته فی عباراته واشاراته وتملیحاته اللطیفة و کنایاته البدیعة ومعرفته لنفوس الناس من الکبار والصغار والرجال والنساء والشبان والاطفال ومسایرته مع الطباع علی اختلاف طبقات الناس و تباین مشاربهم ومعتقداتهم و آمالهم وضربه علی اوتار قلوبهم و نغمته الرخیمة الحلوة الجذابة قد صوّرت سعدی فی نظرهم احسن صورة و اکمل مثال للرجل المحائد الفکه الناقد الظریف الحکیم فاحبوه من سویداء فؤادهم لما یرون فی کلماته من مظاهر مایحبونه فی حیاتهم من الجمال والکمال والعدل والنظام والعشق والغرام فهذه العوامل والاسباب قد حببت سعدی الی طبقات الناس وسحرت البابهم وخلیت قلوبهم و سیطرت علی مشاعرهم و وجدانیاتهم هذا عدا ما لسعدی من الفصاحة والبلاغة وسحر البیان الذی یفعل بالألباب مایفعل الخمر فتری الصوفی الکامل یستشهد بکلامه و العالم المفسّر یتمثل باشعاره والشاب الطموح الی المعالی ایضاً یحبه ویجد فی اقواله شیئاً کثیراً یوافق آماله واحلامه وتری العالم الذی قد کملت مواهبه ونضج عقله وعلا فهمه ویعتقد بشراشر قلبه ووجدانه بوحدة البشر ویحسب کل وجوه التباین والتفارق من اختلاف الاجناس واللغات والاوطان وغیرها ضرباً من الهذیان واموراً اعتباریة یعتبرها من یعتبرها اما عن جهل و انخداع اولغایات واغراض یجد فی کلام سعدی مایشفی علّته وینقع غلّته فی ابیاته التی شرّقت وغرّبت وسارت مسیر الشمس فی الآفاق و تلقتها بالقبول اولوالالباب بالاتفاق حیث

یقول فیها بنوآدم اعضاء جسد واحد لانهم فی‌اصل خلقتهم من عنصر واحد فاذا آلم‌الزمان عضواً لم‌یبق لباقی‌الاعضاء راحة وسکون فاذا کنت خلیّاً من محنة غیرك لایجدربك ان تسمّی انساناً کانه ضمّن فی‌هذه‌الابیات‌الحدیث المشهور وتری‌العارف الربانی الفانی فی‌الله‌المعتقد بوحدة‌الوجودالذی‌ینظرالی کل‌مافی‌العالم بعین‌المعرفة والرحمة والمحبة یجد فی کلام سعدی مایثیر اعجابه حینمایقول :

بجهان خرّم‌ازآنم که جهان‌خرّم ازاو است عاشقم برهمه عالم که همه‌عالم ازاواست

ولقد ترجمت هذا البیت بهذین البیتین :

انی طروب بهذا الکون جذلان والکون مبتهج بالله نشوان
واعشق الکون طرّاً فهو فتّان فکلّه من ید الابداع مزدان

ولااحدّث عمافی آثارهذا العبقری‌من‌تهذیب‌الاخلاق‌وتدبیرالمنزل وسیاسة‌المدن والعدل والنظام والحثّ علی‌العلم والحکمة ومااالیهافهوالبحر من ایّ النواحی‌اتیته ولجة لاساحل‌لها وهوالمثل‌الاعلی‌فی‌الشعر الغزلی‌الذی هو اشهر و ارقی‌انواع‌الشعر فی‌ایران ونورد هنا تجلیلا لمقام سعدی ماقیل فی‌قدیم‌الزمان نظماً:

در شعر سه تن پیمبرانند هرچند که لانبیّ بعدی
اوصاف و قصائد و غزل را فردوسی و انوریّ و سعدی

یعنی فی‌الشعر ثلاثة انبیاء و ان صح فی‌الحدیث انه لانبی بعدی ففی‌الوصف فردوسی‌وفی‌القصیدة انوری‌وفی‌الغزل سعدی‌انبیاء یریدان‌دواوینهم بمنزلة‌المعجزات ولایفوقهم احد من‌الشعراء فی‌هذه‌الفنون من‌الشعر و قد حکی انه قدسئل عن ناظم البیتین لماذاالم تعدّ نظامی من‌هذا الرعیل و هولیس اقل مقاما و انزل قدراً منهم فاجاب بانه اراد ان یذکر انبیاءالشعرلاالهالقریض وبما ان‌سعدی کان استاذالایرانیین قروناً و اجیالا فی‌مکاتبهم ومدارسهم ونظراً لمکانته‌الرفیعةفی کتابیه گلستان وبوستان و منزلته السامیة فی‌سایر انواع الشعر و لاسیما فی‌الغزل لقبه الایرانیون بلقب **الاستاذ الاجل** فاذا قالوا الاستاذ الاجل واطلقوا هذا اللقب‌من کل القیود والقرائن فمرادهم سعدی ولهذا جعلنا هذا اللقب عنواناً للمقال وشرحه للکلام ختاما .